لغة الخطاب الملتزم و دوره في تكامل الإنسان
قراءة في خطب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

أ.م.د رفل حسن طه
Rafal Hasan Taha
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ.م.ذكريات طالب حسين المبارك
THEKRAYAT TALIB HUSSEIN AL – MUBARAK
جامعة كربلاء – كلية العلوم
ThekrayatAlMubarak@gmail.com

ملخص البحث :

الخطاب في نهج البلاغة يمثل منظومة متكاملة تؤسس لعملية إقناع عقلية تعتمد على احترام الرأي الآخر، فالنصوص المنتظمة في النهج بما تمثله من خطاب متعدد الأبعاد تؤلف منظومة معرفية قائمة أساسًا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنها تمتد بعيدًا لتحيط بجوانب الحياة المختلفة ، ومنها الإنسان لتملأ الفراغات المحيطة به وتلبي ما يسعى إليه باتجاه الأخلاق، والتربية الروحية، والسياسة، والاقتصاد، والفلسفة، والدين وكل الجوانب التي من شأنها أن تساهم في تطور الإنسان و رقيه وتكامله، وتبني الحياة على أساس قيم ومبادئ صحيحة .

لقد اهتم نهج البلاغة بقضية الخطاب وأهميته في حياة الإنسان في بعديه المادي والمعنوي، وتأثير ذلك في صناعة مستقبل أفضل . ولأن نهج البلاغة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُعد مصدرًا مهما من مصادر العربية و رافدًا من روافدها التي تتضمن (عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعًا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب ، إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة ومورِدها ، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها) الأمر الذي كان حافزًا للوقوف عند لغة الخطاب في نهج البلاغة ومحاولة قراءة أبعاد هذا الخطاب و دوره في بناء الإنسان و تكامله .

الكلمات المفتاحية : نهج البلاغة ، الخطاب ،الخطاب الملتزم ، بناء الإنسان

التمهيد : الخطاب في نهج البلاغة ودوره في تكامل الإنسان

الخطاب هو : ((مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة))[١] و هو من خلال ذلك يشير إلى طبيعة الخلق في اللغة، وقد رأى بول ريكور ان الخطاب هو (الواقعة اللغوية) التي تنطوي في تلافيف أبعادها العلائقية على بعد زمني زيادة على الحدث الذي تثبته هذه الواقعة و (الاسنادية) في الإبقاء بالمعنى الذي تحويه تلك المنطوقات أو النصوص[٢].

ولمفهوم الخطاب تعريفات متعددة ومختلفة بحسب تعدد التخصصات واختلاف زاوية الرؤية لمفهوم الخطاب ، فتعريف الخطاب في علم اللغة الانكلو – أمريكي ((يهدف إلى إدخال الهياكل اللغوية المختلفة الموجودة خارج حدود الجملة وخارج الوحدات أو المقاطع اللغوية الموجدة في النص))[٣] وقد يفهم الخطاب بأنه ((الفعل البيئي الشفوي الذي يكون فيه المتحدث والسامع موجودين في الوقت نفسه))[٤] ومن خلال هذا الفهم للخطاب نجد أنه يرتكز على عملية التواصل الشفاهي ((مثل التحادث المباشر وجهًا لوجه أو المكالمات الهاتفية وما شابه ذلك التي تعتمد على وجود المتحدث والسامع شخصيًا في أثناء التواصل ... وفي هذا المفهوم من الخطاب تؤدي النظرات بين الطرفين والإشارات اليدوية أو الحركات الإيحائية و تعابير الوجه ونبرة الصوت والتوقفات في الكلام والتنهد أو الضحك وغير ذلك أدوارًا مهمة ، إذ إن هذه الأمور كلها غير موجودة في التواصل التحريري))[٥] .

وهناك تعريفات تنظر إلى الخطاب ضمن مفهوم أشمل يتجاوز الخطاب الشفاهي إلى الخطاب المكتوب ، فإذا كانت الكلمة في الخطاب الشفاهي لها قائل ومستمع ، ولدى المستمع نية التأثير في غيره بصورة ما من خلال الحوار في الخطاب

بأنواعه المتعددة من البسيط إلى الخطاب الرسمي البليغ[٦] ففي المقابل إن ((مجموع ما يكتب هو ما ينتج الخطاب الشفاهي أو مايستعير أسلوبه في التعبير ، وأغراضه في مراسلات ومذكرات ومسرحيات وكتابات تعليمية))[٧].

إن التذبذب الحاصل في مفهوم الخطاب يجعل من الصعوبة حصره في معنى محدد ، فهو مختلف من مفكر إلى آخر ، لا بل ربما كان متذبذبًا ومعقدًا عند المفكر الواحد ، فميشيل فوكو مثلًا يقول : ((بدلًا من اختزال المعنى المتذبذب للفظ الخطاب أظن إني أضعف لمعانية معاملته أحيانًا باعتباره النطاق العام لكل الجمل وأحيانًا باعتباره مجموعة متفردة من الجمل ، وفي أحيان أخرى باعتباره عملية منضبطة تفسر عددًا من الجمل))[٨] و يظهر إن فوكو يركز في تعريفه للخطاب على الكلام / النصوص الفعلية الناتجة أقل من تركيزه على القواعد والبنى التي تنتج كلامًا أو نصوصًا ، ومهما يكن من أمر فإن تعريف فوكو للخطاب كان له أهمية كبيرة فيما بعد في النظرية الثقافية [٩] .

ومن هذا المنطلق فإن الخطاب سيقدم للمجتمع ((مجموعة من المعارف أو المعلومات عن الموضوعات النافعة للأفراد وللجماعات ، وبتعبير أدق فإن أنواع الخطاب تساهم في نقل المعارف أو تغيير الأشياء والحالات أو تأكيدها أو رفضها وغير ذلك))[١٠].

وعلى هذا الأساس فإن الخطاب في نهج البلاغة يمثل منظومة متكاملة تؤسس لعملية إقناع عقلية تعتمد على احترام الرأي الآخر، فالنصوص المنتظمة في النهج بما تمثله من خطاب متعدد الأبعاد تؤلف منظومة معرفية قائمة أساسًا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنها تمتد بعيدًا لتحيط بجوانب الحياة المختلفة ، ومنها الإنسان لتملأ الفراغات المحيطة به وتلبي ما يسعى إليه باتجاه الأخلاق، والتربية الروحية، والسياسة، والاقتصاد، والفلسفة، والدين وكل الجوانب التي من شأنها أن تساهم في تطور الإنسان و رقيه وتكامله، وتبني الحياة على أساس قيم ومبادئ صحيحة .

إنّ الرحلة الإصلاحية للإمام علي (عليه السلام) هي رحلة طويلة شملت الإصلاحات فيها كل المستويات ابتداء من إصلاح المجتمع وتهذيبه في نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وصولًا إلى المستوى النفسي الذي أولاه الإمام اهتمامه وعنايته محاولًا من خلاله إصلاح الذات الإنسانية عبر التغلغل إلى داخل النفس والروح ، وتشخيص الأمراض والعلل التي تعاني منها ، ومعالجة هذه العلل والأمراض التي أصابت دواخل النفوس وألقت بظلالها على المجتمع ليصبح هو الآخر بدوره مجتمعًا عليلًا ومنحرفًا ، وإزاء ذلك ما كان من الإمام إلا أن يحمل أعباء مجتمعه ، ويمسك بداء نفوس أفراده بما أوتي من مميزات تؤهله لأداء هذه المهمة ((فكانت تلك التعبئة عن طريق الخطاب المباشر الذي وجهه الإمام للناس ، وعن طريق رسائله وكتبه وخطاباته التي بعثها إلى ولاته وقواده وأمراء جيشه ، وقادة الامصار الإسلامية ، وحتى تلك التي بعثها الإمام إلى أعدائه ، وكانت تلك الخطب والرسائل والحكم تحمل رؤى الإمام الفكرية ، ونظرته الكونية في الوجود والعالم ، واتجاهاتها الاصلاحية ، وتمثل هذه الجوانب المنظومة الفكرية للإمام التي ننتزع منها (نظرية تكاملية ، واصلاحية) يرى الإمام في تطبيقها صلاح الأمة، من الفرد وصولًا إلى المجتمع))[١١] .

إنّ التكامل الذي ينشده الإمام في رسالته الإصلاحية التي وظف خطابه من أجلها هي بناء ((إنسان تام في قبال إنسان لم يزل أفقيًا غير تام ، لم يزل نصف إنسان ، وكسر إنسان، وربع إنسان ، وثلث إنسان ، ليس إنسانًا تامًا . والإنسان يكون تامًا ، ويكون قابلًا لكي يكون كاملًا ، ويكون أكمل وأكمل إلى ذلك الحد النهائي ، ذلك النهائي الذي لا يكون فوقه إنسان ، ذلك هو الإنسان الكامل ، وهو الذي بلغ أرفع حدود الإنسانية))[١٢] فالكمال يعني ((التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه))[١٣] وكمال الشيء ((حصول ما فيه الغَرَضُ منه ، فإذا قيل كَمُلُ ذلك فمعناه حصل ما هو الغرضُ منه))[١٤] .

ويرى سبنسر إن التكامل هو ((الانتقال من حالة مبددة لا يمكن ادراكها ، إلى حالة ممكنة الإدراك ، أي من حالة غامضة ومشتتة إلى حالة واضحة ومؤتلفة))[١٥] ولهذا فإن الإنسان الكامل هو ((الذي تنمو جميع قيمه الإنسانية معًا بانسجام وتناسب ، لا تتخلف واحدة عن أخرى من النضج والنمو حتى تبلغ أعلى مستوياتها ، عندئذ يكون هذا إنسانًا كاملًا))[١٦].

وفي ضوء نظرية الخطاب العلوي التكاملية التي تميزت بتنوع جوانبها المعرفية والعلمية فإن كمال الإنسان وارتقاءه نحو بلوغ أرفع الدرجات الإنسانية هو ما ينشده الإمام في نظريته التكاملية التي اتضحت معالمها بشكل لا يقبل اللبس في نهج البلاغة ، فكانت ((اطروحة واضحة المعالم ، كثيرة الإصلاحات ، عميقة الغور ، واسعة الرؤية))[١٧] في لغة غير محددة ((بحدود الزمان أو المكان أو الاشخاص بشكل خاص ، بل هو يخاطب الإنسان ولذلك فكلامه لا يعرف حدًا للزمان أو المكان))[١٨] فضلًا عن إن لغته امتازت بالبلاغة والشمول ، فكلامه (عليه السلام) يستوطن القلوب وله القدرة على تحريك العواطف والاحاسيس منذ عهده وإلى اليوم مع كل ما حدث من تحول وتغيير في الأفكار والأذواق ، فهو لا يتكلم إلا حول المعاني الحقة والواقعية ، ولم يقل ما قاله ليكون مقالًا جميلًا يضرب به الأمثال فيبدي بذلك مهارته الفنية في الكلام ، إذ لم يكن الكلام هدفًا له إنما وسيلة إلى تحقيق بناء إنسان كامل [١٩] .

لقد اهتم نهج البلاغة بقضية الخطاب وأهميته في حياة الإنسان في بعديه المادي والمعنوي، وتأثير ذلك في صناعة مستقبل أفضل . ولأن نهج البلاغة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُعد مصدرًا مهما من مصادر العربية و رافدًا من روافدها التي تتضمن عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعًا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب ، إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة ومورِدها ، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها [٢٠] الأمر الذي كان حافزًا للوقوف عند لغة الخطاب في نهج البلاغة ومحاولة قراءة أبعاد هذا الخطاب و دوره في بناء الإنسان و تكامله.

الامام علي (عليه السلام) وخطاب القيم

لقد تميّز خطاب الامام عليٍّ بأنّه شامل مشتمل ، فهو شامل لكل ما قد يواجهه الإنسان في حياته وبعد مماته ، ومشتمل على كلّ ما يمكن أن ينأى بالإنسان عن مزالق الدنيا وموبقاتها ، فخطاب ((متعدد القيّم هو الذي يسود نصوص نهج البلاغة)) [٢١] ، ولعل هذا ما ميّز شخصية الإمام علي(عليه السلام) بالشمولية والنظر الثاقب السديد الذي شخّص سلبيات الإنسان وطبائعه ، ولم يقف مكتوف الأيدي أمام التردّي الذي يصيبه كلما ابتعد عن الدين وتعلّق بالدنيا ، بل عمل جاهدا على تشخيص العاهات الاجتماعية ، والطبائع الإنسانية الشاذة والسيئة ، فلم يأل جهدا في رسم خريطة الإنسان المتكامل الذي عليه أولاً معرفة نفسه كي يعرف ربّه ، ومن ثمّ العمل على تغيير ما في نفسه من سلبيات بما ينسجم ومعطيات العقل والمنطق التي نادى بها الله ورسوله وأولي الأمر الذين أوصى الله بطاعتهم .

ورغم الإجحاف الشديد الذي تعرّض له الإمام عليّ (عليه السلام) حينما سلبت منه حقوقه الإلهية في الخلافة وإدارة أمور الدولة والناس بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) ، إلاّ انه لم يتخلَّ مطلقاً عن دوره الإنساني في متابعة شؤون الناس وحلَّ مشاكلهم ، وليس هذا فقط بل عمد ـ بمنتهى الجرأة والصلابة ـ الى توجيه الناس الضّالة من ساسة وأتباع متملقين انجرفوا وراء الدنيا وملذاتها متناسين حقوق الرعية والفقراء الذين هم أولى الناس بالاهتمام والإنصاف . وقد عكس تصرفه هذا ما يجب على الإنسان عمله حين يواجه الظالمين في أن لا يسكت عن الحق ولو في ذلك أذىً وظلم عليه .

ودليل ذلك الحروب ومواجهة الفتن التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) في حياة الرسول وبعد مماته ، وكذلك حينما استلم مقاليد الحكم فانه لم يهادن او يجامل على سبيل الحق بل استمر في نهجه التوجيهي البنائي ، وكذلك محاسبة الفاسدين والمقصرين حتى وان كانوا أولي قربى ، لا تأخذه في الحقّ لومة لائم .

ولم يكن الإمام علي (عليه السلام) ليركن الى الباطل وهو ربيب النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) ، يتأسى بسيرته ومنهجه الإصلاحي الذي وجهه الله سبحانه وتعالى إليه ، فالخلق القويم صفة المؤمن ، وهو من أكثر الأمور أهمية مما دعا اليه الإسلام ، فلم يُبتعث الرسول إلاّ ليتمّم مكارم الأخلاق ، وقد أوصى الرسول وصيه الإمام علي (عليه السلام) بإتمام المهمة بعده ، ولم تكن بالمهمة اليسيرة مطلقا ، فكما عانى الرسول الكريم من الظلم والجور على أيدي الكافرين ، فإنّ وصيه(عليه

السلام) لم يكن أوفر حظّاً منه ، فقد تعرض للظلم والجور الكبيرين على مدى عمره الشريف وحتى بعد مماته لم يسلم من الطعن واللعن والحقد المتوارث جيلاً بعد جيل .

لقد تمتَّع الإمام علي(عليه السلام) بحسٍّ إنسانيٍّ عالٍ ، وشعورٍ بالمسؤولية أمام وصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالسعي وراء وحدة الأمة الإسلامية وعدم تفريقها ، ولعل هذا كان على رأس الأسباب التي جعلته يسكت حينما عصفت الفتن بالمسلمين بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم). لكن هذا السكوت كان إنسانيًا أكثر منه سياسياً، فإخلاصه للدين ومحبته لأمة محمدٍ (صلى الله عليه واله وسلم) جعله يتفكر بما سيؤول اليه الوضع لو تزمّت برأيه وحارب من تجرأ عليه وعلى أهله وسلب حقوقهم ، وكلّ ذلك لم يكن ليمنعه من توجيه خطابه الدائم إلى الإنسان ومحاولة تقويمه وإصلاحه ، وقد كان هذا الخطاب على قسمين : الأول: مباشر ، أي موجه إلى شخصيات بعينها ، سواء أكانت من الحكام أم من العامة . والثاني: غير مباشر ، وجهه إلى الإنسان بعامة معتمدا نهج النصح والإرشاد والتذكير . وقد تمَّ له ذلك من خلال أمرين : الأول : تميَّز بتشخيص الأخطاء وعرضها والتذكير بعواقبها ، متخذا أحيانا من توجيه وصاياه إلى أبنائه . الذين هم ابعد ما يكونوا عن الخطأ والزلل كونهم معصومين، وكذلك بعض أصحابه المخلصين ـ وسيلة إلى تقريب الأمور وفرض واقعيتها . أما الثاني : فقد اعتمد فيه القسوة والشدة في تقريع المسيئين والمارقين والناكثين ومحاربتهم بالقول الجارح حيناً ، وبالسلاح أحياناً أخرى . وبذلك نرى احتفال نهج البلاغة بعشرات الخطب والوصايا التي حملت معها نهجاً إصلاحياً ونظرية متكاملة في البناء الإنساني في المجتمع العربي وكل المجتمعات الأخرى وان اختلفت في الدين او العقيدة ، وقد عكست خطب نهج البلاغة ((المستوى التأثري الذي اضطلعت به في عملية توصيلية مؤثرة ما زالت تتناغم مع فكر المتلقي حتى اللحظة)) [٢٢]

المبحث الأول : المظاهر الموضوعية للخطاب التكاملي في نهج البلاغة

لقد حفلت حياة الإمام علي(عليه السلام) بالكثير من العطاءات الزاخرة في مجالات شتى ، إلاّ أنّ أهمها كان توجيهياً وبنائياً للذات الإنسانية ، لانّ ذلك العمل كان جزءاً من مهمته التي أوصى بها الله ورسوله(صلى الله عليه واله وسلم) ، فالإنسان أهمُّ من كل شيءٍ ، يقول عزّ وجل : ((**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**))[٢٣]، وعليه فالحياة لا تستقيم الّا من خلال البناء الصحيح له ، وقد واجه الأنبياء والرسل والأوصياء تلك الرسالة العظيمة بالرفض والامتعاض من قبل غالبية الناس ، وكذلك سياسة الإمام علي(عليه السلام) العادلة فإنّها قد قوبلت بالرفض أيضاً من قبل الكثير من طلاب الدنيا الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وحاربوا نهج الإمام علي بشتى الوسائل ، بين طغيان وخداع من قبل الساسة من جهة ، وضعف الناس وتخاذلهم عن نصرة الحق ودعم أصحابه من جهة أخرى . وقد حقّق الإمام علي ذلك بجملة من المعطيات التي تلمسناها في خطابه الملتزم الذي زخرت به خطبه ورسائله في نهج البلاغة ، ولعلّ من أهم تلك المعطيات والتوجيهات التي ساهمت في بناء الإنسان والسير به إلى النهج التكاملي هي:

أولًا : محبة الله والإخلاص لدينه

لقد تجسد موقف الإمام علي (عليه السلام) تجاه الإنسان من خلال فاعلية الخطاب التوجيهي الداعم له والذي دعا إليه هو وأبناؤه وأهل بيته من بعده ، فلم يتكاسلوا أو يتهاونوا يوما في دعم قضية الإنسان الذي كرمه الله تعالى وميّزه بالعقل ، على الرغم من إشاراتهم المتعددة إلى أنّهم ليسوا من طلاب الدنيا ولا رغبة لهم في الحكم لولا التكليف الإلهي ومحبتهم للناس والرغبة في هدايتهم إلى الحق . يقول الإمام علي(عليه السلام) في خطاب وجَّهه إلى معاوية بن أبي سفيان : ((**ولسنا للدنيا خلقنا ، ولا بالسعي فيها أمرنا ، وإنّما وضعنا فيها لنبتلى بها**))[٢٤]، ولعل هذا الابتلاء والصبر عليه كان هو النموذج المحتذى الذي دعا إليه الإمام علي حين نصح الناس بإتّباع تعاليم الرسالة المحمدية وتوجيهاتها السديدة ، وكذلك اتّباع تعاليم العترة المطهرة المتمثّلة به وبأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم ، يقول في إحدى خطبه مبيِّناً وضوح منهاجه الذي هو منهاج الله ورسوله : ((**وانِّي لعلى بيِّنةٍ من ربِّي ، ومنهاجٍ من نبيِّي ، وانِّي لعلى الطريق الواضح القطهُ لقطا ، انظروا أهل بيت**

نبيكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدىً ، ولن يعيدوكم في ردىً ، فان لبدوا فالبدوا ، وان نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا))[٢٥] .

لقد حرص الإمام علي (عليه السلام) كل الحرص على الإنسان وبنائه بناءً صحيحاً من خلال تذكيره بعواقب غفلته وتماديه حين ينسى إنسانيته ودينه، ويلهث راكضاً وراء الدنيا متناسيا ما ينتظره من حساب وعقاب رباني ، وقد وجه (عليه السلام) النصح والإرشاد للإنسان الذي يبتغي السلامة في الدين والدنيا ، وقد قدم ذلك من خلال وصاياه الموجهة للبشرية جمعاء وبمسميات شتى منها ما هو عام ومنها وصايا الأبناء والأصحاب الصالحين ، فمن وصيته لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) : ((**احي قلبك بالموعظةِ ، وأمته بالزهادة ، وقوّه باليقين ، ونورّه بالحكمة ، وذللّه بذكر الموت ، وقررّه بالفناء ، وبصرّه فجائع الدنيا ، وحذّره صولة الدهر ، وفحش تقلّب الليالي والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين** ، ...))[٢٦] . إنّ خطاب الإمام علي السابق مفعم بالنصح والتذكير ، وقد تمحور حول جارحة تعدّ من أهم جوارح الإنسان على الإطلاق وهي القلب ، وقد يتضح من كلامه (عليه السلام) ـ وهو ما تابعه عليه الكثير من العلماء والمفكرين ـ أنّ القلب ابلغ من العقل واهمّ، إذ أنّ كل تعاملات الإنسان في الحياة الدنيا وحصيلتها لما بعد الوفاة تتعلق بالقلب وما يشتمل عليه من مشاعر وتوجهات تحدد مصيره ومسيرته في الحياة ، والإنسان ـ كما يلمّح الإمام علي إلى ذلك ـ قادر على ترويض القلب والتحكم فيه إن اتبع الوصايا التي وجّه إليها الإسلام متمثلا برسوله الكريم وبه وبأهل بيته (عليهم السلام) في خطاباتهم الموجهة للمجتمع ، وعلى رأسها الالتزام بتعاليم الله عز وجلّ والسير بمقتضاها ، فضلاً عن التدبُّر والتبصُّر بما حلَّ بالسابقين ، فنهايتهم حتمية وهي ستقع على الجميع إن آجلاً أم عاجلاً.

ولعلّ هذا الضعف الإنساني الذي يصيب قلب الإنسان كان المحور الأساس الذي انطلق منه الإمام علي يعالجه بحكمته وفراسته، فهو من أكثر الأمور التي يواجهها الإنسان خطورة ، وهو قد جُبِل على حب الدنيا ومتاعها. فلو تمتع بالقوة والصلابة التي طالما نادى بها الإمام علي لهانت عليه الدنيا واستصغرها وازدراها ليكسب بذلك نفسه وآخرته ، وهذا ـ بالطبع ـ يحتاج إلى قلب عامر بحب الله متفانياً في عبادته لا يشوبه الضعف ولا تتمكن منه الخطيئة ، بل تتمظهر فيه الإرادة الصلبة التي تحيي الوهن ، وتشعل جذوة الفؤاد بالحق واليقين ، وتعلو على الأهواء والرغبات والميل المتخبط . يقول (عليه السلام) في الخطبة ذاتها : ((**ودعِ القولَ فيما لا تعرفُ ، والخطابَ فيما لم تكلَّفُ ، وامسك عن طريقٍ إذا خفتَ ضلالتهُ ، فانَّ الكفَّ عند حيرة الضَّلال خيرٌ من ركوب الأهوالِ ، وأمر بالمعروف تكن من أهلهِ ، وانكر المنكر بيدك ولسانك ، ...، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض الغمرات للحقّ حيث كان ...**))[٢٧]. إنّ المتتبع لمعاني هذا الخطاب وأبعاده العميقة يدرك حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحث على نظافة القلب وطهارته ، وقد حرص كل الحرص في التأكيد على سلامة الفطرة الإنسانية وعدم تلويثها بالشك والانحراف الفكري الذي يؤدي ـ بلا أدنى شكّ ـ الى التيه والضلال . فلو سلم قلب الإنسان من الشك برء من كل الأدران الأخرى . وعلى أساس من ذلك فقد شخَّص(عليه السلام) الناس وقسَّمهم على ثلاثة أقسامٍ عالم ومتعلم وهمجي ، يقول موجّهاً كلامه الى صاحبه كُميل بن زياد : ((**يا كُميل ، إنَّ هذه القلوب أوعيةٌ ، فخيرها أوعاها ... الناس ثلاثة : فعالمٌ ربانيٌّ ، ومتعلمٌ على سبيل النجاة ، وهمجٌ رعاعٌ ، أتباع كلّ ناعقٍ ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا الى ركنٍ وثيقٍ ، .. إنَّ ها هنا لعلماً جمَّاً ، وأشار الى صدره ...**))[٢٨]

لقد اخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) على عاتقه مهمة بناء الإنسان روحياً قبل أيِّ بناءٍ آخر ، فنادى بصدق الإيمان وصفائه ، والتوكل المطلق على الله والتسليم لإرادته ، فهو يكفي عباده من العمى والضلال . ولم يكتف بذلك فقد أدرك أهمية التوجيه التوعوي والتربوي الذي يجب أن يغرسه الآباء في نفوس أبنائهم منذ الصغر لأنَّهم يستقبلون ما يغرس فيهم ويتبعونه الى آخر حياتهم ، يقول في إحدى خطبه : ((**وانّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن**

يقسو قلبك ، ويشتغل لبّك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته))[٢٩] ، وهذا الكلام يشمل كل جوانب الحياة الأخرى ، فالإنسان ابن بيئته يستقبل منها ما تعطيه وما قد تمنعه ، وما تغرزه في ضميره ووجدانه حتى لا يستطيع الخلاص منه الا بالتوبة النصوح على يدٍ قد تمتد إليه وقد لا تمتد .

ثانيًا : تحقيق العدل واختيار الحاكم الصالح

إنَّ الدعوة إلى الحكم العادل او الحاكم الصالح أمرٌ ذو أهميةٍ كبيرةٍ عند الإمام علي(عليه السلام) وهدف سام صرف عمره الشريف في سبيل تحقيقه ، وقد تجسدّ ذلك في خطبه التي وجهها للعامة والخاصة ، فقد حقق الإمام علي (عليه السلام) نظريته في الحكم التي مفادها العطف في موجبات التعاطف والإنسانية مع الضعيف والمحتاج والمظلوم ، والحزم والقوة في موجبات التصدي للفساد والاعوجاج الذي قد يتخذه البعض سبيلا لتحقيق مصالحه الشخصية ، وهذا هو مبدأ العدل الإلهي الذي نادى به الإمام علي (عليه السلام) وقد باركه الله سبحانه وتعالى ، يقول (عليه السلام) : ((**إنَّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ ، هُدي فهدى فأقام سنّة معلومة ، وأماتَ بدعةً مجهولةً ، وانَّ السُّننَ لنيِّرة لها أعلام ، وانَّ البدعَ لظاهرة لها أعلام ، وانَّ شرَّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلَّ وضُلَّ به ، فأمات سنّةً مأخوذةً وأحيا بدعةً متروكةً))**[٣٠] . فهذا في حدِّ ذاته تحقيق للمقولة المشهورة ((العدل أساس الملك))، وليس أجدر من علي بن ابي طالب (عليه السلام) للقيام بهذا الأمر ، ((فالعدالة فيه ليست مذهباً مكتسباً وإن أصبحت في نهجه مذهباً فيما بعد ، وليست خطة أوضحتها سياسة الدولة وان كان هذا الجانب من مفاهيمها لديه))[٣١] . فالذي يبني المجتمع قادته وحكامه أصحاب الأمر والنهي ، لذلك فان منظومة الإصلاح يجب أن تبدأ من الأعلى ، فلو صلح الحكام صلحت الرعية والمجتمع والعكس صحيح . وطالما ركّز أمير المؤمنين(عليه السلام) على هذه النقطة الجوهرية التي وجّه بها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الشريف في قوله تعالى : ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين))[٣٢] ، وكذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))[٣٣] ، وفي هذا الاقتران بين اكتمال الإيمان وحسن الخلق دلالة ظاهرة على أهمية بناء الإنسان أخلاقياً اولاً، فالأخلاق الحميدة ميزان الحياة المستقرة الآمنة والكلام موجه لجميع الناس سواء أكانوا مسلمين ام غير مسلمين . وقد وجَّه (عليه السلام) على وجوب تحلي الحاكم بتلك الأخلاق لأنَّه يعدّ بمثابة القدوة والمثال لهم ، يقول (عليه السلام) في عهده لمالك بن الاشتر حينما ولَّاه على مصر، و((الذي يعدُّ برنامجاً متكاملاً في عملية البناء الثقافي والاخلاقي ، والتطوير الاداري))[٣٤] : ((**واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونَّن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان ، إما أخٌ لك في الدين واما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل))**[٣٥] ، فألاهم من بناء الإنسان هو بناء منظومة الحكم التي ستسيّره وفق ما ترى وتحب . وعليه فانّ من أهم الصفات التي نادى بها الإمام علي (عليه السلام) والتي يجب أن يتحلّى بها الحاكم هو العدل ، فهو أساس الحكم السليم ، فلا يأخذ الحاكم الزهو والغرور فينسى حقوق رعيته ويظلمهم ، يقول (عليه السلام) : ((**ولا تندمنّ على عفو ، ولا تبجحّن بعقوبة ، ولا تسرعنّ الى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا تقولنّ إنِّي مُؤمّرٌ آمرٌ فأُطاعُ ، فانَّ ذلك إدغالٌ في القلب ، ومنهكة للدّين))**[٣٦] ، ولطالما ذكَّر(عليه السلام) الحكام وولاة الامر بضرورة الاهتمام بالناس وعدم ترهيبهم حتى يطمئنوا ويطالبوا باحتياجاتهم بدون خوف ولا تردد ، وهذا فكر رسول الله ومنهجه في الإدارة ، يقول (عليه السلام) : ((**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً ، فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع * فاني سمعت رسول الله (ص) يقول في غير موطن : ((لن تقدَّس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع))**[٣٧] وعليه فالإنسان يجب أن يكون أولى اهتمامات السلطة الحاكمة وهي ((صفة حكومة الإمام علي (عليه السلام) في رسم صوت العدالة الحقة بين جميع الناس سواء))[٣٨] ، وعليه فانه يجب على اية حكومة السعي في بناء الانسان بناءً صحيحاً كما يربي الأب أبناءه فلا يفرِّق بينهم في الحقوق والواجبات ، يقول (عليه السلام) : ((**ولا يكونَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنَّ في ذلك تزهيداً لأهل**

الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه))[٣٩] ، فكما اجتهد أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسم ملامح الحاكم العادل ووجوب تحليه بالمثل الأخلاقية التي سيسوس بها رعيته حتى يكون بينهم مثالا يُحتذى ، فإنَّه قد وجَّه النصح كذلك للرعية أنفسهم وحثهم على بناء أنفسهم بناءً سليماً على وفق ما يقتضيه حكم الله ودستوره العظيم، يقول موجهاً كلامه إلى عامة الناس عادّا إيَّاهم أبناءه الموكل بتوجيههم وإصلاحهم : ((**يا بنيّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها ، ولا تَظلِم كما لا تُحب أن تُظلَم**))[٤٠] ، وفي الوقت نفسه لم يقتصر توجيه النصح حيناً والتقريع حيناً آخر من قبل الإمام علي (عليه السلام) للحكام والأمراء فقط كما في قوله في إحدى رسائله التي وجهها إلى بعض عماله في الأمصار وقد تجاوز احدهم على حقوق الرعية ، يقول: ((**فاتق الله ، واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فانّك أن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لاعذرنَّ الى الله فيك ، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلاَّ دخل النار**))[٤١] ، بل وجه اللوم للناس الذين رضخوا للحكام وسلموا زمام أمورهم إليهم ، يقول موجهاً خطابه لهم : ((**واني والله لأظنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل**))[٤٢] ، فالجدلية القائمة بين رفض الإمام الصالح ، و طاعة الإمام الطالح قد وقف عندها الإمام علي (عليه السلام) طويلاً وهو يحاول إظهار أبعادها على المجتمع الغافل وما تجره عليه من ويلات ، وهو ما حصل بالفعل بعد وفاة الإمام علي(عليه السلام) وتخلي الناس عن أئمتهم المعصومين من بعده .

إنّ شيوع الطغيان والظلم والأثرة بالحكم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كان السبب الرئيس في شنّ أمير المؤمنين حربه ضد الحكام الفاسدين وتصديه لاعوجاجهم قولاً وفعلاً ، يقول في وصف أهل البغي الذين حاربهم : ((**فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون ، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول : ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)) ؟ بلى والله سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زبرجها**))[٤٣] ، ولم يحاربهم الإمام علي محبة للحرب لكنها ضرورة وواجب مقدس كيلا يعم الفساد في الأرض ، يقول في ذلك : ((**فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلاَّ وأنا اطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي ، وتغشوا الى ضوئي ، وذلك أحب الي من أن اقتلها على ضلالتها ، وان كانت تبوء بآثامها**))[٤٤] . فمنهج الإمام علي (عليه السلام) واضحٌ وضوح الشمس يراه الأعمى فيهتدي ، وينكره أعمى البصيرة فيضِلُّ .

ثالثاً : التعاطف والتكافل بين الناس

انّ (المحبة) التي نادى بها أمير المؤمنين(عليه السلام) ليطبقها بين الناس كانت أساساً متيناً استطاع من خلاله تمرير نصائحه وإرشاداته التي أخذت حيزاً كبيراً من نفسه ووقته في أثناء مدة حكمه او قبل ذلك لما لها من اثر كبير في تقريب الناس وتوحيدهم وتقوية عزيمتهم، فقد نذر نفسه للإصلاح وإكمال مسيرة الرسول الأعظم في جعل امة العرب خير امة أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولعل تلك التوجيهات لم تكن مقتصرة على المسلمين فحسب ، بل وجه خطابه الى الإنسانية جمعاء لم يفرق بين امة او أخرى ، دعاهم بكلّ محبة وإخلاص للتعاون والتآزر والتكاتف فيما بينهم من اجل بناء مجتمع سليم خال من الأدران والموبقات ، وخال من الفقر والفاقة التي تضعف عزيمة الإنسان وتوكله الى غيره في حين أنَّ دعوى أمير المؤمنين في الأساس هي التوجه الى الله دون غيره ، يقول (عليه السلام) موجهاً خطابه للإنسانية جمعاء من خلال قوله لجابر الأنصاري : ((**يا جابر ، قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيع أخراه بدنياه ، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير أخراه بدنياه**))[٤٥] ، فقد حارب (عليه السلام) الجهل والفقر وعاب على كل من يكتنز الأموال أو يختلسها من حقوق الفقراء والمحتاجين ، وله في ذلك أقوال مشهورة تعتمدها الآن اكبر المؤسسات الإدارية في العالم ، منها مقولته : ((

ما جاع فقير إلاَّ بما متّع فيه غنيّ))[٤٦]. إنَّ هذه النظرية قد اقر بها الجميع وبأن الإسلام قد حفظ حقوق الفقراء كي لا تكون دولة بين الأغنياء ، فحرم الربا واكتناز الأموال ، وفرض الزكاة والصدقة ومساعدة المحتاج .

وقد بلغ به (عليه السلام) من تقريره للتعاون والتراحم أن جعل إسعاد أفراد المجتمع غاية آماله وطموحه ، وقد عكس ذلك ما في قلبه النبيل الذي غمرته العاطفة الإنسانية العميقة من قوة هائلة تبغي الإصلاح والبناء المتكامل للإنسان كي يتعايش مع أخيه الإنسان بمودة ومحبة . وقد انطلقت تلك المودة من ((قلب ملأته الرحمة ، ومن لسان تجري عليه بردا وسلاما ، فاذا هي القوة الغالبة تتحطم على بابها مغريات الأرض المتفجرة بالمغريات))[٤٧] وقد كانت كلها بين يديه الا انه زهد فيها ، راغباً في أن يكون حاله كحال اضعف إنسان في مملكته ، حتى يعيش معاناته ويشعر بحاجته فيلبيها له ، حارماً بذلك نفسه وأهل بيته من ابسط متع الدنيا ، موصياً ولاة الأمر بالرأفة بالمساكين والمحتاجين ، وقد رسم في خطابه الموجه الى مالك الاشتر معالم نظام سياسي واجتماعي واقتصادي واداري يدور باكمله حول انسانية الانسان ووجوب المحافظة عليها فهو ((نظام اسلامي وانساني حضاري للحوافز لكونه لا يحمل الا ادق واعمق اخلاقية للعدالة ، فالمحقق للنتاج الفكري والانتاج المادي اخذ حقه الحقيقي وضمن منافسة لرفع معنوياته ، واصلاح شأن المسيء ، وتقويم سلوكياته والتأثير عليها وتوجيهها نحو البناء والعطاء،...))[٤٨]، يقول في عهده الشريف : ((**ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى**))[٤٩] . وبالرغم من سعيه الدؤوب إلى استحصال حقوق الفقراء ، الا انه لم يرض بركونهم إلى التخاذل والاستسلام لمصيرهم ، بل وجههم بالدفاع عن أنفسهم والمطالبة بما لهم من حق وألاَّ يكون ذلك رضوخا وعبودية لا يرضى بها احد ، وقد أشار إلى ذلك في قوله ((**ما رأيت نعمة موفورة إلاَّ الى جانبها حقّ مضيّع**))[٥٠] بل حتى صاحب النعمة الموفورة لم يسلم من توجيهات أمير المؤمنين من ضرورة انخراطه ضمن أهله وعشيرته في دعوة واضحة الى ضرورة التوحد وعدم الانسلاخ عن الأهل والأقارب ، يقول عليه السلام : ((**أيها الناس ، انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عترته (عشيرته) ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه ، والمَّهم لشعثه ، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به ، ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره ، ... ، ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ، ولا ينقصه إن أهلكه . ومن يقبض يده عن عشيرته ، فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة ، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة ، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة**))[٥١].

لقد عكس الخطاب السابق جهد الإمام علي في تربية الفرد ضمن مجموعته وعدم انسلاخه عنهم وان علا بنعمته عليهم فانه لابد أن يحتاجهم يوما ما . وفي هذا الخطاب دليل على اهتمام أمير المؤمنين بشؤون الناس ، ومحاولاته الجاهدة في سبيل رسم معالم مجتمع سوي متكاتف متعاون فيما بينه يهتم لأمر الفرد والجماعة على حد سواء ، فهو بناء للفرد والمجتمع سوية . وكثيرا ما وبخ عليه السلام البخل والبخلاء عادا البخل آفة الآفات وليس أفضل منه غير الزهد الذي يوجه الناس اليه وها هو يخاطب الناس بقوله : ((**أيها الناس إنما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا تنالون منها نعمة الا بفراق أخرى ، ولا يعمِّر معمِّر منكم يوماً من عمره إلاّ بهدم آخر من اجله ، ... ، وقد مضت أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله**))[٥٢] .

ولعل من أهم القضايا الاجتماعية التي وجه إليها أمير المؤمنين خطابه بمنتهى الحكمة والرصانة هي قضية الغنى والفقر وما لها من اثر خطير على بناء المجتمعات ، ولم تكن محاولاته لمعالجة تلك القضية بمنأى عما أشار إليه القران الكريم من تقسيم الناس الى طبقات ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، فالمشيئة الإلهية قادرة على رزق جميع الناس واغنائهم ، إلاّ إنّ الحكمة الإلهية أيضاً ترتئي أن تكون الأرزاق متفاوتة ليعلم الله الصابرين والمتبطرين وغيرهم ، يقول عز من قائل ((**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**))[٥٣] ، وقد كشف هذا التفاوت في الأرزاق عن أنفس الناس وتفاعلهم فيما بينهم ، ولعل هذا التفاوت هو الذي يبني المجتمعات السليمة اذا ما نظر الغني الى الفقير نظرة أخوة وإنسانية تجمعهما سوية في هذه الحياة ، ولعلَّ ذلك هو مغزى قول أمير المؤمنين في عهده لمالك

الاشتر: ((**وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية ، فإنَّ سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة**))[٥٤]، وعلى أساس من هذه النظرية الإنسانية العامة تكمن جدلية الحياة ، فـ ((الغني لو ذب عن الفقير بفضل ماله الذي فضل به عليه ، والعالم لو ذب عن الجاهل بفضل علمه ، والحكيم لو ارشد السفيه بفضل حكمته ، لو كان هذا سبيل الناس في الحياة لانتصر جيشهم على آلام الحياة القابلة للانهزام))[٥٥] ، ولكن تبقى القناعة والرضى بالمقسوم مع جد الإنسان واجتهاده في سبيل تحصيل رزقه الدعوة الأولى للإمام علي لتنظيم الحياة واستقرارها ، يقول : ((**يا ابن ادم ، الرزق رزقان ، رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فان لم تأته أتاك ، فلا تحمل هم سنتك على هم يومك ، كفاك كل يوم ما فيه ، فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك ، وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم فيما ليس لك ، ولم يسبقك الى رزقك طالب ، ولن يغلبك عليه غالب ، ولن يبطئ عنك ما قدر الله لك**))[٥٦] ، الا ان هذه الدعوة إلى الرضى بالمقسوم لا تؤشِّر مطلقاً إلى الرضوخ والاستسلام للفاسدين الذين يسلبون الحقوق في وضح النهار دون خوف او رادع من دين او خلق ، فأمير المؤمنين يأبى ذلك ، وهو ضد الطبقية التي تنشأ من هذا التجاوز على حقوق الرعية ، فهو ((يأبى أن يدل الطريق الى مصفى العسل وفي الشعب من لا عهد له بقرص الشعير ، وان يدل الطريق الى نسائج القز وفي الشعب من لا طمع له بالطمر المرقع ، وان يقال له أمير المؤمنين ولا يشاركهم مكاره الدهر))[٥٧] .

المبحث الثاني : المظاهر الفنية للخطاب التكاملي في نهج البلاغة

يمكن أن تعني لفظة الصورة في الأدب ((كل الوسائل الأسلوبية التي تغير الشكل الأكثر بساطة للملفوظة ، [إذ] يميز علم البيان تقليديًا بين صور الكلمات أو الاستعارة و صور الفكر التي تتدخل على مستوى تنظيم مجمل الخطاب))[٥٨] و تعرّف الصورة الأدبية بأنها ((الانطباع الذهني أو التشابه المتصور الذي تستدعيه كلمة أو عبارة أو جملة ، و يستطيع الكاتب أن يستخدم لغة بلاغية من التشبيهات و الاستعارات ليخلق صورًا لها من الحيوية مثل ما للحضور الواقعي للأشياء والأفكار نفسها))[٥٩] ولهذا فإن الصورة ((عنصر جوهري مميز ، ومكون أساسي لكل النثر والشعر القائم على الخيال الإبداعي))[٦٠] .

وتظهر أهمية الصورة الفنية في ((طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه من معنى من المعاني ومن خصوصية وتأثير ، ولكن أيًّا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى ذاته ، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه))[٦١] و لعل هذه الأهمية تبدو في الصورة المجازية حينما تحل هذه الصورة ((محل مجموعة من العبارات تتجلى في إنها لا تقود المتلقي إلى الغرض مباشرة مثلما تفعل العبارات الحرفية ، و إنها تنحرف عن الغرض وتحاوره وتداوره بنوع من التمويه فتبرز له جانبًا من المعنى ، وتخفي عنه جانبًا آخر حتى تثير شوقه وفضوله ، فيقبل المتلقي على تأمل الصورة المجازية واستنباطها ، وعندئذ ينكشف له الجانب الخفي من المعنى ويظهر الغرض كاملًا، ومن المفروض أن يتيح ناتج هذه العملية للمتلقي نوعًا من الدهشة السارة أو المفاجئة الممتعة ، يتحقق بعد تلك الحالة التي اسماها الفخر الرازي (الدغدغة النفسانية)))[٦٢].

إنّ الصورة التي يحاول المبدع أن يقدمها في لغة خطابه ((لا تعني زخرفة لفظية فحسب ، بل هي خلق فني واندماج بين نسقين ، الحسي الذي يتجلى ببراعة اللفظة زخرفيًا و معماريًا وبلاغيًا، والنسق الذهني أو المعنوي حين ترتفع الألفاظ إلى مستوى التأمل المعنوي العميق والنظرة البعيدة المدى في فهم الصورة كلًا متكاملًا))[٦٣] . وإذا ما ربطنا بين الصورة في لغة خطاب المبدع وبين المتلقي الذي توجه له هذه الصورة نجد إنها ((تهدف إلى إرغام المتلقي على عدم الاكتفاء بعنصر أو بعدة عناصر ظاهرة على سطح الملفوظة ... [إنما] النفاذ إلى مجموعة تأويلات تتراكم فوق هذه الدرجة المدركة (الشكل ، الدرجة

المفهومة) . تقتضي الصورة إذن تراكبًا حواريًا وهي ليست مجرد تحول وتبدل ، [و] يتأتى التأثير البياني من هذا التفاعل الجدلي بين الدرجة المدركة والدرجة المفهومة [و] يهتم هذا التأثير وفي آن معًا بموضوع الملفوظة إذ يطبع فيه أسلوبه ... و بالمرسَل إليه الذي تتبدل معارفه واستعدادته ... بفعل الصورة))[٦٤] .

من جهة أخرى ، فقد جرى الحديث عن التفريق بين الصورة الذهنية والصورة البصرية ، فالصورة الذهنية هي صورة أدبية ((موحية وبالتالي فإنها تحرك الذهن وتدعوه للنشاط ، فيما الصورة البصرية تفرض نفسها وتدفع إلى الكسل))[٦٥] ، وإذا كانت الصورة الفنية في أبسط تعبير هي ((رسم قوامه الكلمات))[٦٦] و ((استرجاع ذهني لمحسوس))[٦٧] فإنها في لغة خطاب نهج البلاغة الملتزم تصبح عنصرًا فاعلًا و مهمًا تتمثل أهميتها ((في الطريقة التي تفرض علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه ، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ، ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه ، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه))[٦٨] .

وفي هذا السياق يرسم لنا الخطاب العلوي صورة متكاملة لمفهوم التوحيد الحقيقي في الخطبة الأولى من نهج البلاغة التي يذكر فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم ، إذ يقول فيها ((**أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال : (فيم) فقد ضمّنه ، ومن قال : (علام) فقد أخلى منه ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده**))[٦٩] .

لقد قدم لنا النص صورة كلية اعتمدت في تشكيلها على صور جزئية من خلال الجمل القصيرة التي ارتبطت مع بعضها لتؤلف بمجموعها صورة متكاملة في التوحيد واثبات ربوبية الخالق (جلّ وعلا) ، وقد تجلت هذه الصورة في أسلوب الاستدلال البرهاني الذي نهجه الخطاب العلوي في هذا المقطع من الخطبة للوصول إلى حقيقة الذات الالهية ، وهو ما بدا في قوله (عليه السلام): ((**فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه**))[٧٠] فالجهل سيؤدي بالنتيجة إلى ((القول بالتشخيص الجسماني ، وهو يستلزم صحة الإشارة إليه تعالى عن ذلك ، ومعنى حدّه : هو إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة ، فأنت تتوجه إليه باشارتك، ومن كان في جهة فهو منقطع عن غيرها ، فيكون محدودًا أي له طرف ينتهي إليه ، فمن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه : أي أحصى و أحاط بذلك المحدود لأن الحد حاصر محدود))[٧١] وهنا فإن الصورة الكلية قامت بنفي ذلك كله ، فالمحدود لا يمكنه إدراك اللامحدود، والجزء لا يمكنه أن يدرك الكل ، ولهذا فقد قال (عليه السلام) : ((**ومن قال علام ؟ فقد أخلى منه وهذا حق ، لأن من تصور أنه تعالى على العرش ، أو على الكرسي ، فقد أخلى منه غير ذلك الموضع وأصحاب تلك المقالة يمتنعون من ذلك ومراده (عليه السلام) إظهار تناقض أقوالهم**))[٧٢] .

إنّ الخطاب العلوي في هذا المقطع من الخطبة يؤكد على أهمية المعرفة التي يتعين على الإنسان الحصول عليها كي يسير من خلالها باتجاه التوحيد الحق للمعبود في ((خصائصه وصفاته واسمائه الحسنى))[٧٣] ذلك أن ((قوام هذا الدين هو التوحيد ، وليس بمقدور الإنسان أن يخطو خطوة واحدة في هذا الدين ما لم يعرف التوحيد ... لكن كمال الإنسان ليس في المعرفة ، بل في الإيمان والتصديق ، وكرامته في مزاوجة الإيمان بالعمل))[٧٤] .

من هنا جاء تأكيد الإمام علي (عليه السلام) في خطابه على التوحيد لما له من علاقة ((بحياة الإنسان وسلوكه الفردي والاجتماعي ، وما يترتب على ذلك من آثار عملية بالاتجاهين السلبي والايجابي ، فمثلما هناك معطيات ايجابية تبرز لهذا الضرب من التوحيد في السلوك العملي فهناك أيضًا آثار سلبية تنشأ عن عدم الأخذ بلوازم التوحيد في الخالقية والربوبية ، وعند

هذه النقطة تحديدًا يمكن الحديث عن مظاهر الشرك في الخالقية والربوبية وما ينجم عن ذلك من اختلافات في حياة الإنسان))[٧٥] .

ولعل البعد العملي للتوحيد والآثار المترتبة عليه هي الدافع وراء اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بقضية التوحيد في خطابه وعنايته بها ، إذ إن هناك ((فرق كبير بين أن يصدر الإنسان من تصور ينهض فيه بأداء أعماقه وممارسة حياته مستقلًا ومن دون الله ، وبين أن يمارس ذلك بإذن واستشعار الحركة من خلاله ، وفرق أيضًا بين أن يعتقد الإنسان أن الله (سبحانه) انعزل عن الوجود وبعد عن خلقه وانفصل عن ملكه وسلطانه وأنه فوّض للآخرين تدبير الكون وإدارة الوجود على نحو الاستقلال والانفصال وبين أن يؤمن أن التدبير لله ربّ الأرباب وحده لا شريك له ... وأنه المالك والمدبر الذي يسوق كلّ موجود إلى كماله))[٧٦] .

إن قضية التوحيد التي قدمها الخطاب العلوي في هذا النص جاءت بشكل صورة كلية أخذت فيها المخيلة دورًا بارزًا وذلك من خلال ((تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه تمويهًا وإيهامًا))[٧٧] .

ومن الصور التشبيهية في خطاب الإمام علي (عليه السلام) قوله في الخطبة رقم (١٠٨) من نهج البلاغة : ((**لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة**))[٧٨] و فيها تنبيه على الدور المهم الذي قام به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في إنقاذ الإنسانية وإنارة الطريق لها باتجاه الحق، فكانت الصورة التشبيهية في النص خير موضح لهذا المعنى ، ذلك أن (فلق الخرزة) يعني كشف الأمر وإزاحة الإيهام عنه مثلما تفلق الخرزة لتعرف ما بداخلها ، وهذا بالضبط ما أدّاه المصطفى (صلى الله عليه وآله) في رسالته السماوية التي بُعث من أجلها ، إنها رسالة تكشف للعقول كل ما ستر عنها و غُلف بغلاف الظلام والضلالة ، ويقودها نحو الإيمان الحق ، ولعل هذا المعنى هو ما أراد الخطاب العلوي تقديمه في صورة تشبيهية اعتمدت على تشبيه المعقول بالمحسوس.

إنّ استعمال الصور التشبيهية في نهج البلاغة كثير ، ولا غرابة في ذلك إذ ((إنّ التشبيه جارٍ كثيرًا في الكلام ، أعني كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد))[٧٩] والتشبيه ((هو العقد على إن أحد الشيئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حسٍ أو عقلٍ ، و لا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو النفس))[٨٠] ومدار التشبيه هو تحقيق غاية ما تتم من خلال تقديم الصور التشبيهية بكل أشكالها ، وهذا ما نجده في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ تكثر في بناء خطابه الصور التشبيهية كقوله : ((**كن في الفتنة كابن اللبون ، لا ظهر فيُركب ، ولا ضرع فيُحلب**))[٨١] وابن اللبون هو ولد الناقة الذي لا يمكن ركوبه لصغره ولا ضرع لديه ليدر باللبن ، وقد ذكر ذلك ابن أبي الحديد إذ يقول : ((ابن اللبون لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب وليس بأنثى ذات ضرع فهو مطرح لا ينتفع به))[٨٢] فابن اللبون هو المشبه به في الصورة التشبيهية الحسية التي قدمها لنا الخطاب في النص السابق ، وهي صورة اعتمدت على التشابه بين المشبه والمشبه به إلى درجة يشعر المتلقي معها إن ما وصف به المشبه قد تحقق بالمقدار نفسه الذي تحقق في المشبه به ، فضلًا عن إن الصورة التشبيهية الحسية لم تبتعد عن واقع الإنسان وبيئته ، فكان الخطاب ناقلًا لهذا الواقع ومصورًا له ، ومؤثرًا في المتلقي في الوقت نفسه .

وقد يعتمد الخطاب في نهج البلاغة على الوصف في رسم الصورة ، فمن ذلك قوله (عليه السلام) : ((**العالم من عرف قدره**))[٨٣] فقد وصف العالم بأنه من عرف نفسه ، وهي صفته التي يمكن أن يعرف من خلالها وتدل عليه في الوقت نفسه ، ولعل هذه الصفة هي أحسن صفة للعالم ، فالعالم الذي وصل إلى هذه الدرجة التي تمكنه من معرفة حقيقة نفسه ، وعنده القدرة على موازنة أقواله وأفعاله ، ومعرفة حدوده التي يجب أن يلتزم بها ، ويسير وفقًا لهذه المعرفة ضمن منهج قويم و سليم ، ولعل صورة العالم هذه بُنيت على الوصف في ((رسم الصورة بطريقة مباشرة مع الاحتفاظ بقدرٍ ما من الإيحاء يمنع الحرفية المحتملة فيه))[٨٤] . وهو ما يبرز في قوله (عليه السلام) : ((**الشقي من انخدع لهواه وغروره**))[٨٥] إذ نجد أن الشقي هو

من نهج أسلوب الغرور وسلم نفسه لهواه ، والشخص الشقي الذي عرفه الناس ، وتميز في مجتمعه بتصرفاته وأفعاله غير المتزنة قدمها لنا الخطاب العلوي في شكل صورة قادرة على أن تكون وصفًا عامًا (للشقي) الذي خسر نفسه وخسر احترام الآخرين له .

من جانب آخر ، يمكن أن تقدم الصورة في خطاب نهج البلاغة ((فكرة أو خاطرة عن طريق إحساس مجسد))[٨٦] كقوله (عليه السلام) : ((**فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ**))[٨٧] وهنا يتحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) عمّن تسلم مقاليد الحكم وهو لا يملك المؤهل لذلك ، فجاءت الصورة التجسيدية لتبين هذا المعنى من خلال لفظة (لبس) التي تطلق على الشيء المادي ، لتنحرف اللفظة مجازيًا في الخطاب العلوي عن دلالتها الأصلية وتصبح دالًا على (الشبهات) وهو أمر معنوي ، فكأنما الشبهات هي لباس يلبس ، ويبدو إن خلع صفة مادية على (الشبهات) قد جعل الصورة مجسدة للمتلقي الذي تتضح عنده الصورة عند اكتمال الخطاب بقوله : (مثل نسيج العنكبوت) فيكون هذا اللباس ضعيفًا و واهنًا كبيت العنكبوت الذي أشار إليه القرآن الكريم في سورة العنكبوت ((وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت))[٨٨] وهذا هو حال من يتصدى للحكم وهو لا يصلح لتسلم مقاليده ، وقد استطاعت الصورة الاستعارية أن تقدم هذا المعنى للمتلقي بما تحمله من دلالات فنية ، ولا سيما تلك التي وصف فيها لباس الشبهات بنسج العنكبوت .

تأخذ الصورة الاستعارية جانبًا مهمًا في خطاب نهج البلاغة ولا سيما عندما تعتمد هذه الصورة على أسلوب تبادل المدركات ، فنراه (عليه السلام) يؤكد على العلم وأهمية التمسك به من خلال العض عليه بضرس قاطع ، ويصف من يتخلى عنه بأنه ((**لم يعض على العلم بضرس قاطع**))[٨٩] فتأتي الاستعارة من خلال لفظة (يعض) المادية لتصور أهمية العلم الذي هو أمر معنوي ، لتحدث من خلال ذلك تأثيرًا في المتلقي تدعوه إلى التمسك (العض) بالعلم ، والخوف عليه من الضياع .

إلى جانب الاستعارة فإن المقابلة تأخذ حيزًا في خطاب نهج البلاغة ، ذلك أن التقابل يقوم على التعاكس والاختلاف في الدلالة[٩٠] ليظهر الأوجه المتعاكسة في الحياة الإنسانية باختلافاتها وتناقضاتها عندما ((يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب))[٩١] ، ومن المقابلات التي وردت في خطاب نهج البلاغة قوله (عليه السلام) : ((**ثم جمع من حَزْنِ الأرضِ وسهلها وعذبها وسَبَخِها**))[٩٢] إذ تظهر المقابلة بين (حَزْن) و (سهل) وبين (عذب) و (سَبَخ) ، والحَزْن ((ما غلظ من الأرض في ارتفاع))[٩٣] في مقابل السّهل ((اللين وقلة الخشونة))[٩٤] . أمّا السبخ فأرض ((ذات ملح ونَزّ))[٩٥] يقابلها تربة عذبة طيبة لا ملوحة فيها .

إن المقابلات المكانية السابقة تقدم دلالة واضحة عل طبيعة المركبات التي خلق منها الإنسان ، وعلى الرغم من ان هذه المركبات متناقضة بحسب الدلالة التي تحملها كل منها ، بيد إنها تعطي صورة بارزة لتركيبة النفس الإنسانية ، الأمر الذي فسّره ابن أبي الحديد بقوله : ((أن يكون الإنسان مركبًا من طبائع مختلفة ، وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبح))[٩٦] وهو ما أرادت لغة الخطاب في النص أن تنبه عليه وتؤكد على ضرورة أن يعي الإنسان لهذه التركيبة المختلفة كي يقدر أن يمسك بها ويدفعها باتجاه الخير لا الشر ، فكانت المقابلات خير من قدم هذه الصورة في لغة خطاب النص .

ومن المقابلات قوله (عليه السلام) : ((**أيها الناس إنه لن يزداد امرؤٌ نقيرًا بحذقه ، ولن ينتقص نقيرًا بحُمقه ، فالعالمُ بهذا العاملُ به أعظم الناس راحةً في منفعةٍ ، والتارك له أكثرُ الناسِ شُغلًا في مَضرةٍ**))[٩٧] . يؤكد الإمام في خطابه على مضار الخديعة على المجتمع ، وما يمكن أن تؤدي إليه من تنافر وبغض بين الأفراد ، ففي الوقت الذي يكون سلوك المكر والخداع غير مقبول في التعاليم السماوية ، فإن ممارسة هذا السلوك من قبل بعض الأفراد من أجل الحصول على شيء من المكاسب الدنيوية الزائلة والكسب على حساب حقوق باقي الناس لن ينفع صاحبه أبدًا مهما كان ماكرًا ومخادعًا ، وستكون عاقبته وخيمة عندما تتكشف أساليبه الماكرة ،و ينفضح أمره بين الناس فيكون كل ما تحصل عليها مكاسب زائفة ، ففي النهاية كل ما سيحصل عليه الإنسان هو رزق قدرته له السماء لن ينقص ولن يزيد ، وقد جاء هذا المعنى من خلال لغة الخطاب التي

استندت على المقابلة بين (لن يزداد امرؤ نقيًرا بحذقه ، وبين لن ينتقص نقيرًا بحُمقه) تلك المقابلة التي أرادت أن تغير مفهومًا كثير التداول بين الناس ويغفل عنه أناس كثر، فكانت المقابلة منبهًا ولم تكن مجرد محسن من المحسنات البديعية .

من هنا نقف عند قوله (عليه السلام) الذي ينبه فيه على الجانب الإنساني عند البشر : ((**اعتزل البدع وبينهما اضطجع فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**))[٩٨] فعندما لا يملك الإنسان إلا الشكل الإنساني في مقابل نفس حيوانية غادرتها كل المعاني الإنسانية النبيلة يصبح حينها مخلوقًا آخر هو أقرب للحيوان ببهيميته التي لا تمتلك العقل والتفكير .

لقد قابل الإمام بين صورتين الأولى هي صورة الإنسان الكامل في هيئته وشكله ومعناه الإنساني الذي ينطوي عليه قلبه ، وبين صورة الإنسان الذي يفتقر للمعنى الإنساني والجوهر الحقيقي له فصورته (صورة إنسان والقلب قلب حيوان) ومن خلال هذه المقابلة يجعل المتلقي داخل هذه الصورة ليكتشف كيف يصبح الإنسان عندما يترك صفته الإنسانية ويغادر المعنى الإنساني إلى المقابل الآخر في الصورة الحيوانية المتدنية ، فيقبل على الصورة الأولى وينفر ويبتعد عن الصورة الثانية .

وفي موضع آخر يدعو إلى التقوى في العمل ذلك إن كمال الإنسان مقترن بسيره في طريق التقوى : ((**واستقربوا الأجل ، فبادروا العمل ، وكذبوا الأمل ، فلاحظوا الأجل**))[٩٩] وقد جاءت دعوته للالتزام من خلال الجناس التام الذي جاء في خطابه بين (الأجل) الأولى والتي عنى بها الوقت ، و (الأجل) الثانية التي قصد بها موت الإنسان لعل الإنسان يتعظ ويتنبه لذلك .

وفي خطاب التكامل عند الإمام في نهج البلاغة فإنه يدعو إلى أن يمسك الإنسان بزمام نفسه ، ويكون رقيبًا على ذاته وقاهرًا لكل نوازعها الشيطانية ، إذ إن من يتبع هوى النفس لن يكسب سوى الحسرة والندامة التي تفقده الراحة والسعادة ، فيكون حينها ظالمًا لنفسه وسائرًا بها بطريق الهلكة والندامة ، وقد قدم هذا المعنى من خلال الجناس بين (المغبون) و (والمغبوط) في قوله: ((**والمغبون من غبن نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه**))[١٠٠] . ويستمر هذا الخطاب التكاملي من خلال الجناس المحرف في قوله : ((**ذاك حيث يكون المُعطى أعظمَ أجرًا من المُعطِي**))[١٠١] فالجناس بين المُعطى وقد قصد به الفقير ، والمُعطي وقصد به الغني ، وهو يريد من ذلك أن يبين حقيقة مهمة هي أن العطاء لا بد أن يكون للعطاء نفسه ليس غير ، وعندما يفتقد لهذا المعنى فإنه لا يعدو أن يكون رياء وتفاخرًا لا قيمة له ، وفي المحصلة فإن المُعطي لن يحصل على أجر أو ثواب جراء عطائه ، في حين أن المُعطى هو من يتحصل على هذا الأجر بعد أن يكسب العطاء الذي أعطي له ، فيكون هو الرابح .

أهم نتائج البحث

١- يمثل الخطاب في نهج البلاغة منظومة متكاملة تؤسس لعملية إقناع عقلية تعتمد على احترام الرأي الآخر، فالنصوص المنتظمة في النهج بما تمثله من خطاب متعدد الأبعاد تؤلف منظومة معرفية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنها تمتد بعيدًا لتحيط بجوانب الحياة المختلفة ، ومنها الإنسان لتملأ الفراغات المحيطة به وتلبي ما يسعى إليه باتجاه الأخلاق، والتربية الروحية، والسياسة، والاقتصاد، والفلسفة، والدين وكل الجوانب التي من شأنها أن تساهم في تطور الإنسان و رقيه وتكامله، وتبني الحياة على أساس قيم ومبادئ صحيحة .

٢- تميّز خطاب الامام عليٍّ بأنّه شامل مشتمل ، شامل لكل ما قد يواجهه الإنسان في حياته وبعد مماته ، ومشتمل على كلّ ما يمكن أن ينأى بالإنسان عن مزالق الدنيا وموبقاتها .

٣- يزخر نهج البلاغة بعشرات الخطب والوصايا التي حملت معها نهجاً إصلاحياً ونظرية متكاملة في البناء الإنساني في المجتمع العربي وكل المجتمعات الأخرى وان اختلفت في الدين او العقيدة، وقد عكست خطب نهج البلاغة المستوى التأثري الذي اضطلعت به في عملية توصيلية مؤثرة ما زالت تتناغم مع فكر المتلقي حتى اللحظة .

٤- حرص الإمام علي (عليه السلام) كل الحرص على الإنسان وبنائه بناءً صحيحاً من خلال تذكيره بعواقب غفلته وتماديه حين ينسى إنسانيته ودينه ويلهث راكضاً وراء الدنيا متناسيا ما ينتظره من حساب وعقاب رباني ، وقد وجه (عليه السلام) النصح والإرشاد للإنسان الذي يبتغي السلامة في الدين والدنيا ، وقد قدم ذلك من خلال وصاياه الموجهة للبشرية جمعاء وبمسميات شتى منها ما هو عام ومنها وصايا الأبناء والأصحاب الصالحين.

٥- حقق الإمام علي (عليه السلام) نظريته في الحكم التي مفادها العطف في موجبات التعاطف والإنسانية مع الضعيف والمحتاج والمظلوم ، والحزم والقوة في موجبات التصدي للفساد والاعوجاج الذي قد يتخذه البعض سبيلا لتحقيق مصالحه الشخصية ، وهذا هو مبدأ العدل الإلهي الذي نادى به الإمام علي (عليه السلام) .

٦- انّ (المحبة) التي نادى بها أمير المؤمنين(عليه السلام) ليطبقها بين الناس كانت أساساً متيناً استطاع من خلاله تمرير نصائحه وإرشاداته التي أخذت حيزاً كبيراً من نفسه ووقته في أثناء مدة حكمه او قبل ذلك لما لها من اثر كبير في تقريب الناس وتوحيدهم وتقوية عزيمتهم .

٧- رسم في خطابه الموجه الى مالك الاشتر معالم نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وإداري يدور بأكمله حول انسانية الانسان ووجوب المحافظة عليها .

٨- وجه خطابه الى الإنسانية جمعاء لم يفرق بين امة او أخرى ، دعاهم بكلّ محبة وإخلاص للتعاون والتآزر والتكاتف فيما بينهم من اجل بناء مجتمع سليم خال من الأدران والموبقات ، وخال من الفقر والفاقة التي تضعف عزيمة الإنسان .

هوامش البحث

(١) النص والخطاب والاجراء ، بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان / ٦

(٢) ينظر ، نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي / ١٢ – ١٣

(٣) النص والخطاب ، شتيفان هابشايد ، ترجمة : أ.د. موفق جواد المصلح / ١٢١

(٤) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(٥) المصدر نفسه / ١٢٢

(٦) الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة : عبد الوهاب علوب / ١٧

(٧) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(٨) المصدر نفسه / ١٨

(٩) المصدر نفسه / ١٩

(١٠) النص والخطاب ، شتيفان هابشايد ، ترجمة : أ.د. موفق جواد المصلح / ١٢٤

(١١) رسالة الإصلاح والواقع الاجتماعي للإمام علي (عليه السلام)، عذراء مهدي حسين العذاري / ٩٥

(١٢) الإنسان الكامل ، مرتضى مطهري ، ترجمة : جعفر صادق خليلي / ١١

(١٣) معجم لسان العرب ، ابن منظور / مادة : كمل

(١٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني / ٤٦٠

(١٥) المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا / مادة : التكامل

(١٦) الإنسان الكامل ، مرتضى مطهري ، ترجمة : جعفر صادق خليلي / ٢٥

(١٧) رسالة الإصلاح والواقع الاجتماعي للإمام علي (عليه السلام)، عذراء مهدي حسين العذاري / ٩٥

(١٨) في رحاب نهج البلاغة ، مرتضى مطهري / ٢٩

(١٩) ينظر ، المصدر نفسه / ١٨ – ٢٨ – ٢٩

(٢٠) ينظر، شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ،الجزء الأول/ ٨ – ٩ – ٤٨

(٢١) الخطاب في نهج البلاغة ، ٢٠

(٢٢) المصدر نفسه / ٢٣

(٢٣) سورة الإسراء / ٧٠

(٢٤) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٢٧٤

(٢٥) المصدر نفسه / ١٤٢

(٢٦) المصدر نفسه / ٣٩٢

(٢٧) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(٢٨) المصدر نفسه / ٤٩٠

(٢٩) المصدر نفسه / ٣٨٩

(٣٠) المصدر نفسه / ٢٦٥

(٣١) الإمام علي صوت العدالة الاجتماعية / ٤٧

(٣٢) الجمعة / ٢

(٣٣) سنن ابي داوود / ٢– ٦٣٢

(٣٤) البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي لمالك الاشتر/١٠

(٣٥) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٢٧ـ ٤٢٨

(٣٦) المصدر نفسه / ٤٢٨ ، متتعتع : متردد في الكلام من عجز او عي .

(٣٧) المصدر نفسه / ٤٣٩

(٣٨) اثر السنة النبوية في نهج البلاغة / ١٠

(٣٩) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٣٠ ـ ٤٣١

(٤٠) المصدر نفسه / ٣٩٧

(٤١) المصدر نفسه / ٢٦٧

(٤٢) المصدر نفسه / ٦٧

(٤٣) المصدر نفسه / ١٧٤

(٤٤) المصدر نفسه / ٩١

(٤٥) المصدر نفسه / ٣٤٤

(٤٦) المصدر نفسه / ٤٩٨

(٤٧) الإمام علي صوت العدالة الاجتماعية / ٤٥

(٤٨) اخلاقيات العدالة في عهد أمير المؤمنين / ٢١

(٤٩) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٣٨

(٥٠) المصدر نفسه / ٤٧٦

(٥١) المصدر نفسه / ٦٥

(٥٢) المصدر نفسه / ٥٠٣

(٥٣) الشورى / ٢٧

(٥٤) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٢٩

(٥٥) الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة / ٢٨

(٥٦) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٠٤

(٥٧) الإمام علي صوت العدالة الاجتماعية / ١٤٢

(٥٨) معجم المصطلحات الأدبية ، تحق : د. محمد حمود / مادة : الصورة (التصوير، الشكل)

(٥٩) معجم المصطلحات الأدبية ،إبراهيم فتحي / مادة : صورة حسية

(٦٠) المصدر نفسه / المادة نفسها

(٦١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور / ٣٩٢

(٦٢) المصدر نفسه / ٣٩٧

(٦٣) التحليل الجمالي والنقدي للأدب ، د. عناد غزوان / ٨٩

(٦٤) معجم المصطلحات الأدبية ، تحق : د. محمد حمود / مادة : الصورة (التصوير، الشكل)

(٦٥) المصدر نفسه / مادة : رسم

(٦٦) الصورة الشعرية ، سي. دي . لويس ، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي وآخرون / ٢١

(٦٧) في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية ، د. نصرت عبد الرحمن / ٦٨

(٦٨) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور / ٣٩٨

(٦٩) نهج البلاغة ، صبحي الصالح /

(٧٠) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(٧١) في نهج البلاغة ، علي حسين خباز / ٣

(٧٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، الجزء الأول / ٦٥

(٧٣) التوحيد ، بحوث في مراتبه ومعطياته تقريرًا لدروس السيد كمال الحيدري ، جواد علي كسار ، الجزء الأول/٤٣٩

(٧٤) المصدر نفسه / ٤٣٩ – ٤٤٠

(٧٥) المصدر نفسه ، الجزء الثاني / ٣٠٩ – ٣١٠

(٧٦) المصدر نفسه / ٣١٠

(٧٧) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني / ٢٧٨

(٧٨) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ١٥٧

(٧٩) الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ، المبرد ، تحق : أحمد محمود شاكر، الجزء الثالث / ٨١٨

(٨٠) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، تحق : محمد خلف الله ، و د. محمد زغلول سلام / ٨٠

(٨١) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٦٩

(٨٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، الجزء الثامن عشر / ٨٢

(٨٣) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ١٤٩

(٨٤) الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د. عبد القاهر الرباعي / ١٦

(٨٥) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ١١٧

(٨٦) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د.صالح أبو اصبع / ٤٤

(٨٧) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٥٩ – ٦٠

(٨٨) العنكبوت / ٤١

(٨٩) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٥٩ – ٦٠

(٩٠) ينظر ، ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د. أحمد نصيف الجنابي (بحث) /١٥

(٩١) علم البديع ، عبد العزيز عتيق / ٧٦ . و ينظر ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب / مادة : مقابلة

(٩٢) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٤٢

(٩٣) معجم لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد الثاني / مادة : حَزْن

(٩٤) المصدر نفسه ، المجلد الثالث / مادة : سهل

(٩٥) المصدر نفسه / مادة : سبخ

(٩٦) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، الجزء الأول / ٨٠

(٩٧) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ٢٤٩

(٩٨) المصدر نفسه /١١٣

(٩٩) المصدر نفسه / ١٦٩ – ١٧٠

(١٠٠) المصدر نفسه /١٢٩

(١٠١) المصدر نفسه /١٩١

المصادر والمراجع

١ـ اثر السنة النبوية في نهج البلاغة ـ دراسة تحليلية للروايات الشريفة ، وفقان خضير محسن ، كلية الدراسات الإنسانية الجامعة ـ النجف الاشرف .

٢ـ أخلاقيات العدالة في عهد أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (ع) للاشتر النخعي (رض) ، هاشم حسين ناصر ، مركز دراسات الكوفة ـ النجف الاشرف .

٣ ـ أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحق : ريتر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٩ .

٤ ـ الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة ، السيد محسن الأمين (قدس) ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

٥ ـ الإمام علي صوت العدالة الاجتماعية ، جورج جرداق ، دار الأندلس ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠ .

٦ ـ الإنسان الكامل ، مرتضى مطهري ، ترجمة : جعفر صادق خليلي ، دار الحوراء للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

٧ ـ البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي (ع) لمالك الاشتر ، حسين بركة الشامي ، دار الإسلام ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٨ .

٨ ـ التحليل الجمالي والنقدي للأدب ، د. عناد غزوان ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥

٩ ـ التوحيد ، بحوث في مراتبه ومعطياته تقريرًا لدروس السيد كمال الحيدري ، جواد علي كسار، دار فراقد للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢ .

١٠ ـ الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د.صالح أبو اصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١١ ـ الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة : عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٦ .

١٢ ـ الخطاب في نهج البلاغة ـ بيئته وانماطه ومستوياته ـ دراسة تحليلية ، حسين العمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ .

١٣ ـ رسالة الإصلاح والواقع الاجتماعي للإمام علي (عليه السلام)، عذراء مهدي حسين العذاري، الأمانة العامة لمسجد الكوفة ، ط١ ، ٢٠١٣ .

١٤ ـ شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ضبطه وصححه محمد بن عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣ .

١٥ ـ الصورة الشعرية ، سي. دي . لويس ، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي وآخرون ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٢ .

١٦ ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

١٧ ـ الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د. عبد القاهر الرباعي ، اربد ، الاردن ، ١٩٨٠ .

١٨ ـ ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د. أحمد نصيف الجنابي (بحث) ، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر ، ١٩٨٤ .

١٩ ـ علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،٢٠٠٤ .

٢٠ ـ في رحاب نهج البلاغة ، مرتضى مطهري ، العتبة العلوية المقدسة ، ٢٠١١ .

٢١ ـ في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية ، د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصى ، عمان ، ١٩٧٩ .

٢٢ ـ الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ، المبرد ، تحق : أحمد محمود شاكر،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، مصر ، ١٩٣٧ .

٢٣ ـ المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

٢٤ ـ معجم المصطلحات الأدبية ، ترجمة وتحقيق : د. محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط١، ٢٠١٢ .

٢٥ ـ معجم المصطلحات الأدبية ،إبراهيم فتحي،التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس ، ١٩٨٦ .

٢٦ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٢٧ـ المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، منشورات ذوي القربى ، ط١ ، مج ١

٢٨ـ معجم لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ط١ ، ١٩٩٧ .

٢٩ـ النص والخطاب ، شتيفان هابشايد ، ترجمة : أ.د. موفق جواد المصلح ، دار المأمون، بغداد ، ٢٠١٣ .

٣٠ـ النص والخطاب والاجراء ، بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .

٣١ـ نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

٣٢ـ النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، تحق : محمد خلف الله ، و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٦ .

٣٣ـ نهج البلاغة ، صبحي الصالح ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧ .